

المجلد: 08 / العدد 02 / ديسمبر (2024)، ص.ص. 162-172
النقد اللساني العربي من التطبيق إلى التنظير - المراحل والعوائق -
Arabic linguistic criticism from application to theorizing - stages and obstacles -

مبروك بركات

Yasirbm2013@gmail.com

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية - وحدة ورقة -
(الجزائر)

تاريخ النشر: 2024/12/02

تاريخ القبول: 20/07/23

تاريخ الاستلام: 2022/11/15

ملخص:

يتناول هذا البحث النقد اللساني العربي من حيث المصطلح وعوائق التأسيس، للتعريف بهذا المجال البحثي، وبيان المراحل التي مر بها من التطبيق إلى مرحلة التأسيس التنظيري المكتمل والكشف عن أسباب التعثر التي اكتنفت سبله أيضا. خلص البحث إلى نتائج عديدة منها: للنقد التنظيري عدة مراحل وهي: مرحلة التوصيف، والنقد التأسيسي المستند إلى نظرية محددة، والنقد التنظيري المؤسس. **كلمات مفتاحية:** نقد - لساني - تطبيق - تنظير - مراحل - عوائق.

Abstract:

This research deals with Arabic linguistic criticism with regard to the term and the obstacles faced during founding, to define this research field, and to present the stages it went through from application to the stage of complete theorizing foundation, and to demonstrate the causes of stumbling that surrounded its paths as well.

Theoretical criticism has several stages: the characterization stage, the foundational criticism based on a specific theory, and the foundational theorizing criticism.

Keywords: criticism - linguistic - application - theorizing - stages - obstacles

مقدمة :

عرفت اللسانيات العربية اتجاهات لسانية اتباعا لتواتر مسيرة البحث اللساني عند الغرب، وما تمخض عنها من تطبيقات على الدراسات اللغوية، فانبثق عن ذلك الاتجاه اللساني الوصفي، والاتجاه التوليدي التحولي، والاتجاه لتأصيلي (لسانيات التراث)، والاتجاه الوظيفي، بعدها الاتجاهات اللسانية البحتة، التي كان لكل اتجاه منها رائدون ومناصرون.

وموازاة مع سيرورة تلك الدراسات اللسانية العربية التي اكتنفتها بعض العوائق في التأسيس والمصطلح والتطبيق على اللغة العربية والدراسات التراثية، كانت هناك ضرورة ملحة لأداة تقويمية تصف الواقع اللساني وتحاول أن ترسم السبل التي تمكن اللسانيات العربية من أن تخرج من الأزمة التي عرفتها بداياتها خاصة، وأثرت على سيرورتها عامة، وقد اصطلح على هذه الأداة بمصطلحات عديدة منها النقد اللساني. وانطلاقا من هذا التمهيد تحاول الدراسة المقترحة أن تقف عند المصطلحات التي أطلقت على هذا النقد، والعوائق التي عرفها في بداياته.

الإشكالية: تحاول هذه الدراسة إشكالية، وهي:

ما هي مراحل النقد اللساني العربي، وما العوائق والهبات التي اكتنفت مسيرته، فجعلت مرحلة التأسيس للتنظير تتأخر مقارنة بالبدايات التطبيقية؟

أولاً: مفهوم النقد اللساني

يعد مصطلح (النقد اللساني) من المصطلحات المتنازع حول فحواها وتخصص مجالها إذ برطه بعض الدارسين بالمنهج النسقية في النقد الأدبي التي اتخذت من اللساني مرجعية تكسبها العلمية والموضوعية في المقاربة، ومنهم مازن الوعر في قوله: "نتج عن العلاقة بين اللسانيات والأدب ما يعرف بالنقد اللساني، وكما أن هناك نظريات كثيرة نقدية تنقد الأدب من زوايا مختلفة كذلك هناك النقد اللساني الذي يتناول الأجناس الأدبية تناولاً لسانياً"¹، ولكننا نستخدم هذا المصطلح في بحثنا بصفته مجالاً لسانياً بحثاً من حيث الموضوع والهدف.

وهناك تعريفات جعلت النقد اللساني منصبا على القصد الذي ننحو إليه في بحثنا، على غرار الباحث حسين بوشنب الذي ذهب إلى أنه "ذلك النقد الذي ينطلق إلى موضوعه المستهدف نقداً بمرتكزات وأسس لسانية عامة أو جزئية خاصة"²، ويقصد بالمرتكزات اللسانية العامة الأسس المشتركة بين المدارس اللسانية المعروفة، وأما المرتكزات الخاصة فيعني بها الأسس التي تختص بها نظرية لسانية معينة³.

وسار على هذا النهج بوبكر زكوط في تعريفه بقوله: هو "أداة تقويمية تقييمية منطلقها محددات نظرية ومنهجية عامة في إطار النظرية اللسانية العامة، وهدفها فحص المعرفة اللسانية الخاصة بنموذج لساني ما، أو نماذج عدة، أو تطبيقات المقترنة بهذه النماذج، من خلال النظر إلى أسسها ومرجعياتها، والقيمة الموضوعية لنتائجها"⁴.

ونرى أن هذا النقد ينصب عليها الدراسات اللسانية العربية البحتة التي استلهمت من المنوال الدوسوسيري وما بعده، إذ يعد نموذج اللساني فيصلاً بين مرحلتين: مرحلة سادت فيها المناهج المعيارية كالمناهج التاريخية والمقارن، ومرحلة حديثة قوضت بعض المفاهيم في مناهج المرحلة السابقة لتفتح مجالاً جديداً للبحث اللساني ينشد العلمية والموضوعية في التناول.

ثانياً: البدايات التطبيقية للنقد اللساني العربي وعوائقها.

لم يكن النقد اللساني بدعاً في بدء مسيرته بالتطبيق قبل التأسيس والتنظير على غرار علوم ومجالات عديدة، ويمكن تحديد انطلاق المرحلة التطبيقية من بعد انتشار أفكار دوسوسير البنيوية وابتعاث بعض الجامعات العربية لهيكل من طلبتها للنهل من معين اللسانيات في منابعها، وبعد عودتهم ألفوا مؤلفات تمهيدية قدمت هذا العلم للباحثين، ويبدو أن انبهار بعضهم حداً به إلى مقارنة أسس اللسانيات بالآراء اللغوية في التراث العربي عامة، والجهود النحوية على وجه الخصوص.

وانطلاقاً من هذا المهد نرى أن البداية التطبيقية للنقد اللساني عند العرب بدأت مع الكتابات البنيوية في المنتصف الثاني من القرن العشرين، على غرار دراسات إبراهيم أنيس، وعبد الرحمن أيوب وقام حسان وكمال بشر وغيرهم. ويمكن تقسيم الجهود التي أسهمت في التأسيس للنقد اللساني تطبيقياً إلى ثلاثة أصناف:

1 - جهود البنيويين الوصفيين:

وقد أشار حلمي خليل إلى التأريخ لهذا التأسيس للنقد اللساني في تصنيفه للدراسات اللسانية المستقطبة في العصر الحديث إلى:

أ - الوصفية ونقد التراث اللغوي:

وقد مثل لهذا الاتجاه بكتاب: «دراسات نقدية في النحو العربي 1957» لعبد الرحمن أيوب، وكتاب: «اللغة بين المعيارية والوصفية 1958» لتام حسان، و«دراسات في علم اللغة 1971» لكمال بشر⁵.

ب - التحليل البنيوي للغة:

ومن الدراسات التي تمثل هذا الاتجاه - في نظره - كتاب: «مناهج البحث في اللغة 1955» لتام حسان، و«علم اللغة مقدمة للقارئ العربي 1962» لمحمود السعران⁶.

ج - تطبيق النظرية اللغوية الحديثة على اللغة العربية:

ويرى حلمي خليل أن كتاب: «اللغة العربية معناها ومبناها 1973» يقف وحيدا في مجال تطبيق البنيوية الوصفية على اللغة العربية⁷.

ومن خصائص النقد التطبيقي البنيوي على وجه العموم:

- اتخاذ المنهج البنيوي الوصفي بتعدد نماذجه (على غرار النموذج السوسيري، والتوزيقي، والشكلي التحليلي، وأفكار حلقة براغ ...) مرجعية لسانية في التحليل والنقد.

- لم يستد أغلب النقاد إلى مرجعية نقدية نظرية بارزة باستثناء المنهج البنيوي، وذلك ما جعل نقدهم لا يخطو نحو التنظير.

- استلهم النقاد الموجهة للبحث اللغوي الغربي، وإسقاطها على التراث اللغوي العربي من غير احتراز للفوارق الزمنية والموضوعية في الغالب.

- غلب على بعض النقاد البنيويين التركيز على مستوى واحد في النقد نحو تركيز عبد الرحمن أيوب على المستوى النحوي، ومنهم من كان أكثر شمولية في تناول على غرار تمام حسان الذي توجه بنقده للمستوى الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي.

- الانتقائية في الموضوعات المنقودة على غرار: مخارج الحروف وصفاتها، والمصطلحات اللسانية، وقضية أقسام الكلام، ونقد نظريات النحو العربي، ومنهج النحاة في جمع المادة اللسانية، وغيرها.

- غلبت على النقاد البنيويين اللغة النقدية المباشرة التي تجلت في القدح والاستحسان أحيانا أو المدح والتنويه.

إن النقد التطبيقي البنيوي شابهة مثالب عديدة لعدم استناده إلى تراكيب سلفية، ولكن يحسب له أنه فتح المجال لتحريك عجلة البحث اللساني العربي، ومحاربة التراث اللغوي بجرأة جعلت الباحثين ينقسمون حيالها بين موافق ورافض، ويخج آخرون إلى إطلاق أحكام عامة على هذا النقد دون تحر إلى أن كل ناقد لساني من الرواد له نتاج علمي ينبغي أن يأخذ حقه من التحليل بموضوعية وتجرد.

2 - جهود التوليديين التحويليين:

يمكن أن نعد الدراسات العربية الأولى التي بشرت بالمنهج التوليدي وحاولت أن تقارن بين أفكاره والنحو العربي متجهة بالنقد للنحاة ومنهجهم على نحو كتابات عبد القادر القاسمي الفهري على وجه الخصوص، وكتابات ميشال زكريا ومازن الوعر أيضا.

لم يختلف التوليديون العرب عن البنيويين في مسألة المقاربة بين المنهج الوافد والتراث مع إقرارنا بوجود اختلافات بينهم في المنطلقات والمبررات غير أن هناك نوعا من التصادم الفكري والمرجعي لعل سببه متأث من الانبهار بالمنهج المستند إليه، والبحث عن مبررات تمنحه الشرعية.

ففي هذا السياق نقف على موقف متصلب للفهري تجاه التراث في كتابه اللسانيات واللغة العربية في قوله: «الناذج الغربية أثبتت كفايتها الوصفية، وليس هناك ما يمكن أن يشكك فيها بهذه السطحية. ولا أحد يستطيع بشيء من الجدبة (اللهم إلا إذا كان الأمر يتعلق بشعوذة) أن يدعي أننا نحتاج إلى نموذج آخر⁸، ومن التوليديين من سلك مسلكا وسطيا حيال التراث دون مغالاة ولا إلغاء للجدة في المنهج الوافد، مع أن ملاحظ للكتابة التوليديّة العربية يقف على تأثرها الكبير بنظريات التراث وعقلايته في بعض القضايا التعليقية أيضا.

ولم يكتف الفهري في مشروعه النقدي ببيان موقفه من التراث فحسب، فقد سعى إلى مواكبة نماذج النظرية التوليديّة والقراءة التحليلية الناقدة لها في بعض القواعد الجزئية على غرار مسألة البناء للمجهول، والنحو العلائقي، وقضية الرتبة والتبدير، وتحديث الآلة الواصفة لمعطيات اللغة العربية⁹، ولحقه جيل من التوليديين الذين تناولوا القضايا التركيبية على وجه الخصوص، كما نالت القضايا اللغوية الأخرى نصيبا من اهتمامهم، ففي المجال الصوتي كانت لهم بصمات تحليلية نقدية، ومن تلك الدراسات التي نوردها تمثيلا لا حصر كتاب (مدخل للصواتة التوليديّة لإدريس السغروشنى)، وتناول بعضهم قضايا الدلالة على غرار محمد غاليم في كتابه: (التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم)¹⁰.

من خصائص النقد التوليدي التطبيقي على وجه العموم:

- غياب تراكمية لسانية توجه البحث اللساني التوليدي، فقد تجلّى استناد الرواد من النقاد إلى أفكاره انبهاراً بأفكارها فيها شيء من الجدة.

- نقد النقاد للتراث اللغوي العربي بغية إيجاد مبررات لضرورة الأخذ بالمنهج الوافد.

- لم يتمكن النقاد الرواد الرافضون للتراث من إجلالته من المقاربة اللسانية التي سلكوها، فقد تجلّى مدى هيمنة آراء النحاة واللغويين عليهم، مما جعل مسار التوفيق بين القديم والحديث يغلب على معالجتهم للقضايا اللسانية، وتجلّى ذلك في مسألة العامل والرتبة والقضايا الدلالية أيضاً.

- طغيان التناول التجزئي للقضايا اللغوية، مما جعل تقدم انتقائياً في الموضوعات.

- كان للنقد التوليدي العربي أثر في سيروا البحث التوليدي، فقد كان للفهري خاصة بصمة في تحليل نماذج النحو التوليدي، مما جعله من أقطابه على المستوى البحث العالمي.

- تعدد النماذج التوليدية وفي التناول والنقد والتطبيق على اللغة العربية، مواكبة لها، وإشارة إلى عدم كفايتها في تحليل اللغة العربية.

ونشير في هذا السياق أن البحث اللساني التوليدي مع ما لحقه من نقد لساني كان لها أثر لا ينكر في تمكين الدراسات العربية من أن تثب وثبات متتالية متنوعة المرجعيات في تحليل القضايا اللغوية، ومحاولة التوفيق بين مخرجاتها وما قدمه اللغويون القدامى في سعي للتأصيل أحياناً، أو تحديث الآلة الواصفة للغة العربية الحديثة.

3 - جهود التأصيلين :

في خضم ذلك النقد التطبيقي الذي كان فيه التراث اللغوي العربي عامة والنحوي خاصة محل نقد، ورفض أحياناً ظهرت جهود بعض اللسانيين التي تنحصر للتراث في ضوء مخرجات المناهج اللسانية الحديثة، وقد اضطلع بهذه المهمة بعض الرواد من النقاد التوفيقيين التجسريين على غرار عبد الرحمن الحاج صالح ونهاد الموسى وعبد القادر المهيري.

تعد جهود صالح في هذا السياق من الجهود المتميزة منها وموضوعاً ورؤية، فعالم النقد اللساني التطبيقي مثبتة في ثنايا كتبه ومقالاته، وقد مهد لها ببيان موقفه من التراث الذي اتخذته رواد المناهج اللسانية المنطلق في التأسيس لمواقفهم.

فالتراث عند الحاج صالح لا ينبغي أن يتناول كتلة واحدة وموضوعياً، فهناك تراث أصيل، وآخر تقليد واتباع، فالأصيل نه ما تركه أئمة النحاة المبدعين الذين عاشوا في زمن الفصاحة الأولى كالخليل وأصحابه، ومن سلك مسلكهم في الإبداع والعمق مثل السهيلي والرضي الأستراباذي¹¹، ويتجلى من تفرقه بين الأصالة والتقليد التنويه إلى أن الهنات التي وقع فيها من سبقه من النقاد البنيويين والتوليديين وضعهم التراث في كفة واحدة، وإصدار أحكام على النحو المتأخر الذي غلب عليه التأثير بالمنطق والتعليل والإغراق في التجريد وتعميم تلك الأحكام.

ويُسقط الحاج صالح قضية الأصالة والتقليد على تقليد اللسانيين العرب للغريين خاصة، ليدعو من خلال ذلك المقلد إلى أن يكون " دائماً على استعداد لإعادة النظر والتحريض، وعدم الاطمئنان مقدماً وقبل النظر إلى كل ما يصدر من الغير حتى يقوم الدليل الذي يحمل الإنسان، بل يجبره على تقبل أقوال غيره "¹².

عدد محمد صاري بعض نماذج النقد اللساني عند الحاج صالح، وهي: نظرية المقطع، ورد أسطورة اللغة النموذجية، التفرقة بين مصطلح (بنية) العربي ومصطلح (structure)، والتوليد عند تشومسكي والتفرقة بالتحويل عند العرب، ونظرية الموضوع¹³، وبيان أهمية العامل.

ويظهر أن المشروع النقدي عند الحاج صالح خاصة وعند التأصيليين المنتصرين للتراث خاصة كان يتغيا رد تصورات البنيوية والبنيويين وكشفت عوارها، والثغرات المنهجية التي تخللت مسالكهم المنهجية والمعرفية، كما هدفت جهودهم إلى رد الاعتبار للتراث النحوي من خلال فهم مصطلحاته وأفكاره في سياقها الزمني والمعرفي والمصطلحي أيضاً.

ومن خصائص النقد التأصيلي عامة وعند الحاج صالح خاصة بما يأتي:

- عدم الاستناد إلى نظرية نقدية واضحة المعالم الإستيمولوجية، إذ اتسمت بالإسفنجية والتعدد.

- المزج بين مقاربات متعددة في النقد تمثلت في الوصف والشرح والتفسير، والنقد ونقد النقد.

- عدم فصل الجهد النقدي عن المتن اللساني العام، كما انسحب تقدمهم على التراث وعلى ناقدته من العرب

والغريين¹⁴.

- الاجتهاد في فهم الآلة الواصفة عند النحاة وصفا دقيقا، ومحاولة استثمار مخرجات البحث اللساني الحديث في مقارنتها وتأصيلها ومحاورتها.
- التركيز على المستوى التركيبي في النقد، والوقوع في تناول قضايا محددة لغلبة نقد النقد على مقارنتهم التأصيلية.
- الرد على النبرة الهجومية للتراث ونظرياته وأساسه التي كانت محل نقد استهجاني من بعض النقاد البنيويين والتوليديين.

- وقوع بعض النقاد التأصيليين في بعض الأخطاء المنهجية التي حذروا منها، ومنها محاولة المقارنة بين التراث والحداثة، وادعاء السبق للقديم على الحديث، وهذا السعي قد تكتنفه محاذير زمنية ومعرفية مختلفة.
- هيمنة التفكير التراثي على مشروعهم النقدي مما حدا ببعضهم إلى التحسس من الحديث، وإن كان يحمل بعض معطيات الأصالة والإبداع.

ويبدو السعي إلى التأصيل والتوفيق أحيانا ضرورة فرضتها تراكبية البحث اللساني الحديث الذي اتسمت بعض خطابه بالإنفراط في الأخذ بالحداثة والتفريط في القديم، فجعل بعض النقاد يجنحون إلى تقريب وجهات النظر.
هنات النقد التطبيقي وعواقبه:

إن المسار التطبيقي للنقد اللساني الذي يمثل الانبثاق التأسيسية وقع في هنات عديدة أدى إليها التهافت المتسارع إلى نقل آراء المناهج اللسانية والتوجه إلى التراث العربي لمقارنتها، وقد أوقعهم هذا المسار التأليفي في بعض الهنات المعرفية والمنهجية:

- عدم منح مرحلة التزاك المعرفي حقه من الوقت، وتبينة الحقول المعرفية والبحثية بالجهود اللسانية الغربية، ولعل التسارع المعرفي لدى الغرب من مسببات ذلك.
- الانبهار الحيني بكل إنتاج لساني عند الغرب أدى بتعدد النماذج اللسانية، وتأرجح الباحثين العرب بينها، فوجد بعض اللسانيين العرب غير راضين على منهج موحد متسلسل في كتاباتهم، بل تقف على أن الكتاب اللاحق ينسف بعض آراء الكتب السابقة أو يعدل فيها، ولم يكن هذا ناشئا من التقويم الذاتي أساسا، وإنما من التأرجح اللساني السليبي.
- التوجه إلى التراث اللغوي العربي بالنقد والتقويم باستخدام النماذج اللسانية الغربية التي سلموا بنجاحها وسلامتها ووسم منهج النحاة بكل تقيصة منهجية، على الرغم من اختلاف ظروف كل منها، واختلاف اللغة الموصوفة في كل منها.
- اتسم النقد التطبيقي بالمفهوم اللغوي لكلمة (النقد) إذ مال في كثير من المناسبات إلى المدح والتبويه أو النقد والتجريح للنحاة القدامى خاصة، وقف على هذه السمة عند عبد الرحمن أيوب وعبد القادر الفاسي الفهري بصورة صريحة.

ثالثا: المرحلة التأسيسية النظرية للنقد اللساني العربي وعواقبها

اتسمت هذه المرحلة بالسعي إلى تأسيس نقد بمقومات نقدية ورؤى منهجية تضمن للنقاد رؤية واضحة، وترباطا منهجيا بين المقدمات والنتائج، وصياغة الأسئلة والإشكالات قبل أن يتجه للإجابة عنها، ويتسم هذا النقد بالتأسس والانسجام في التحليل¹⁵.

وقد وقفنا على جهود لبعض اللسانيين العرب أسهمت في البلوغ إلى التأسيس النقدي، ولأن ظروفها التاريخية وسابقتها المنهجية مختلفة ارتأينا تقسيمها إلى ثلاثة أصناف أو مراحل وهي :

1 - مرحلة النقد التوصيفي المؤسس:

ومتاز هذه الجهود بتوصيف مسار البحث اللساني، والكشف عن بعض أزماته وعواقبه، وعرض بعض التوصيات التي تسهم في إيجاد حلول لمشكلاته، والملاحظ أن هذه المحاولات التأسيسية لم تستند إلى رؤية أو نظرية نقدية أو إبستمولوجية محددة و واضحة، ومن الجهود التي تندرج في هذا الصنف من النقد:

- عبد السلام المسدي: تناول في كتابه: «اللسانيات وأسسها المعرفية» بعض عقبات البحث اللساني العربي، ناشدا من ذلك تشخيصها واقتراح بعض الحلول على العاملين في هذا الحقل حتى يبعثوا واقعا نيرا، ووجه آخر للبحث اللساني¹⁶.

- عبد القادر الفاسي الفهري:

ذهب في مقال له بعنوان: «اللسانيات العربية نماذج للحصيلة ونماذج للآفاق» إلى أن "وضع اللسانيات في الأقطار العربية من وجهة معرفية خالصة يطبعه التشتت والتسبب"¹⁷، ومن مظاهر النقد التوصيفي التشخيصي عنده¹⁸:
- الوقوف عند بض مظاهر التسبب في الخطاب اللساني (كالتسبب المرجعي والتقصير في التوثيق واضطراب المصطلح...)، وكان في عرضه لكل مظهر يبين السبيل الذي يمكن من خلاله للباحثين تخطي ذلك المظهر التسببي.
- عدم التعميم في تسويد واقع البحث اللساني، فقد قرر أن في اللسانيات العربية على مستوى الأفراد على الأقل، ما يدعو إلى الشعور بالتقدم، أو بضرورة التقدم في عدة مناح¹⁹.
- قدم الفهري في نهاية مقاله بعض الآفاق التي ينبغي على اللسانيات العربية أن تصل إليها، وأبرز السبل الموصلة إلى ذلك أيضا.

2 - مرحلة التأسيس للنقد المستند إلى نظرية محددة :

في هذه المرحلة خطا النقد اللساني خطوات أكثر نحو التأسيس من خلال استناد الناقد اللساني إلى نظرية ورؤية محددة يقوم عليها نقده في المقدمات والفرضيات والتحليلات وصولا إلى النتائج، ومن أبرز الجهود التي تمثل هذا الصنف:
- عز الدين المجدوب:
نلمس في كتابه: (الموال النحوي - قراءة لسانية جديدة -) رؤى نقدية قريبة تأسيسية، وملامح ذلك:
- استند المجدوب في نقده للدراسات اللسانية النحوية العربية إلى رؤية إبستمولوجية قامت على أساسين، هما:
1 - الفصل بين مفهومي الفرضيات والمنوالات، إذ يمكن هذا الفصل من التمييز بين التفكير اللغوي عند القدامى، وبين اللسانيات²⁰.

2 - الاحتكام إلى مقولة (التجريبية) التي تدل - في نظره - على "قلة التنظير للممارسة العلمية، وعدم وعي الباحث بالمسلمات التي ينطلق منها، وعدم تفكيره فيما يقتضيه التسليم بها من مستلزمات ونتائج فرعية"²¹، وقد طبق هذه المقولة في نقده لمقاربة نقدين لا تنتمي إلى اللسانيات ممثلة في كتاب إحياء النحو لإبراهيم مصطفى، وجهود مهدي الخزومي، كما طبقها على مقاربات نقدية للنحو اتخذت من اللسانيات مرجعا ومستندا، على نحو كتاب من أسرار اللغة لإبراهيم أنيس، وجهود تمام حسان أيضا.

- إرفاق رؤيته الإبستمولوجية النظرية بنقد بعض الدراسات اللسانية النحوية الحديثة التي نقدت التراث، محاولا إعطاء كل دراسة قدرها من التحليل، مبرزاً أخطاءها ونقائصها. والذي يبين مدى قرب هذه الدراسة من النقد اللساني المؤسس هو استعانتها بأدوات نقدية مستمدة من الإبستمولوجيا أو فلسفة العلوم²²، التي تدل على الدراسة النقدية "للمبادئ والفرضيات والنتائج العلمية"²³.

تعد المحاولات المنضوية ضمن هذا الصنف رافدا مهما نحو التأسيس للنقد اللساني العربي، لاستنادها إلى نظرية إبستمولوجية واضحة، وخاصة عند المجدوب، الذي تمكن في نقده من الانطلاق من تلك الرؤية، وتطبيقها أيضا بصورة تطبيقية وحس نقدي رام الموضوعية والإنصاف.
وعلى الرغم من قيمة هذه الخطوة، ولكنها لم تتمكن من التأسيس النظري المكتمل للنقد اللساني العربي، ولعل ذلك يعود إلى العوائق الآتية:

- إن مسار البحث اللساني العربي في بدايته شهد تعثرات منهجية ومعرفية في تطبيق أسس المناهج اللسانية على التراث العربي بصورة مستفحلة جعلت من الأولويات وصف تلك المنجزات وتحليل ما فيها والكشف عن هئاتها وحسناتها رغبة في علمنة اللسانيات العربية .

- الاشتغال بنقل المعارف اللسانية الغربية المتهاطلة وتقويم المنجز اللساني العربي أخذ من جهد النقاد اللسانيين .
- قلة الاطلاع على نماذج نقدية بحثة عند الغرب، أو عدم التمكن من تطبيق آلياتها على اللغة العربية، وعلى المادة الواصفة لها .

- الاستغراق في تبيئة اللسانيات في الجامعات ومراكز البحوث، إذ إن كثيرا من الجامعات العربية لم تتمكن إلا في العقد الأخير من القرن الماضي من برمجتها في مقياس التدريس، فكانت خطوة النقد والتقويم بعيدة المنال في ذلك الوقت

3 - مرحلة نضج التأسيس النظري للنقد اللساني:

أسهمت تراكمية المحاولات النقدية اللسانية في الوصول إلى شيء من النضج في التنظير والتأسيس، فقد ظهرت في نهايات القرن العشرين، جهود نقدية للبحث اللساني جديرة بالتصنيف ضمن الدراسات النقدية المؤسسة، ومن أبرزها، جهود الباحث مصطفى غلفان وحافظ إسماعيلي علوي .

- مصطفى غلفان:

إن اختيار جهود غلفان لتندرج في هذا الصنف مستند إلى بعض الأمور:

- أبانت دراسته عن تتبع دقيق لبداءات اللسانية العربية وتدرجاتها .
- إن مصطفى غلفان أتاح له الزمن أن يطلع على عدة محاولات نقدية لسانية، ما يجعله يتخطى النقائص التي وردت

فيها.

- أظهر في دراسته سאלفة الذكر تمكنا منهجيا في عرض القضايا وتحليلها.

- استفادة دراسته من علوم لها فائدة عظيمة في علمنة النقد، ومنها الاستمولوجيا.

- جاءت دراسته مزوجة بين التنظير والتطبيق.

وللنضج التأسيسي ملامح منها:

1 - وضوح الإشكاليات، ودقة التساؤلات .

2 - تحديد أسباب الأزمة اللسانية .

3 - القواعد النقدية المؤسسة .

4 - تصنيف الكتابات اللسانية الحديثة وسماتها: وهذه الكتابات هي:

1 - 4 الكتابة اللسانية التمهيدية ²⁴ .

2 - 4 كتابة قرائية (لسانيات التراث) ²⁵ :

3 - 4 لسانيات العربية: وتضم الكتابات الآتية:

- الكتابة الوصفية - الكتابة التوليدية العربية - الكتابة التداولية الوظيفية العربية:

- حافظ إسماعيلي علوي:

واصل علوي مسيرة أستاذه غلفان في التأسيس للنقد اللساني العربي في دراساته القيمة الموسومة بـ: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة - دراسة تحليلية نقدية في قضايا التلقي وإشكالاته - وكان ذلك جليا في المنهجية والتصنيف والمنطلقات ولكن هذه الدراسة تميزت بسمات خاصة جعلت منها محاولة رائدة في مجالها، إذ " استطاعت أن تحتوي جل التجارب التي سبقتها وتتوسع في أفكارها وأنظارها، كما استطاعت أن تتعمق في الكثير من الجوانب المتعلقة بالممارسة العلمية وتوصل لها " ²⁶ .

ونشير إلى أن هذا الصنف من الدراسات النقدية يضم عدة دراسات غلب عليها التطبيق على غرار (مراجعات لسانية) لمحزة بن قبلان المزبني، ودراسات محمد الأوراعي للسانيات النسبية ولكن الدارسين وقعا في مزالق تلاسنية جعلت من نقودها مشوبة بالذاتية في مواطن عديدة .

وبين هذين المشروعين وبعدهما دراسات تنظيرية أخرى مؤسسة في البحوث العلمية بالجامعات العربية والدراسات المنشورة في المجالات المحكمة أيضا.

رابعا: حضور النقد اللساني في البحث العلمي في الجامعات الجزائرية

إن مصطلح النقد اللساني يبدو متداولاً في سياق النقد الأدبي في محاضرات بعض الأساتذة، ومقالات بعض الباحثين أيضا إذ يعنون به تلك المناهج النسقية المستندة للسانيات في أسسها على غرار النقد الأسلوبي والسميائي، وغيرهما، وأما العناية بهذا المجال بالمفهوم الذي يعرضه البحث فكان ظهوره محتشما بحسب البحث في الشأبة .

إن الباحث إذا أراد أن يحكم حكما كاملا على شيوع هذا المجال في البحث العلمي والتدريس يحتاج إلى بحث بيبليوغرافي خاص، و لكن مما وقفنا عنده أن دراسة مصطفى غلفان فحلت المجال للباحثين للالتفات إلى هذا المجال، وزاد ذلك مع بروز كتاب حافظ إسماعيلي علوي سالف الذكر وكتابه مع محمد املاخ الموسوم بـ: قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، ومن الدراسات تناولته أجزاء أو استنادا في التحليل نذكر:

رسالة الماجستير للباحث حسين بوشنب: النحو العربي القديم والنقد اللساني الوصفي الخارجي، بالمدرسة العليا للأساتذة بالجزائر العاصمة سنة 2006.

مقال الباحث يوسف منصر: الخطاب اللساني المغاربي اتجاهاته ومضامينه، مجلة التواصل، جامعة عنابة، ع 18، جوان 2007.

مقال الباحث محمد صاري: من أزمة فهم اللسانيات إلى أزمة فهم التراث - قراءة في " النقد اللساني " عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة اللسانيات العربية، السعودية، ع 7.

وفي هذا السياق نشهد للتاريخ أن قسم اللغة والأدب العربي بجامعة ورقلة بالجزائر قد احتفى بمجال " النقد اللساني " وسعى إلى انتشاره في الوسط البحثي من خلال بعض الأعمال البحثية العلمية، ومنها:

1 - تشجيع الباحثين على خوض غمار النقد اللساني تأصيلا واستنادا في التحليل في بحوثهم الجامعية، وهو ما تجلى في أطاريح الدكتوراه لدفعة مشروع (الفكر النحوي واللسانيات) الذي أشرف عليه أبوبكر حسيني، ومن تلك البحوث: رسالة الباحث مبروك بركات الموسومة بـ: النقد اللساني العربي، دراسة في البحوث النحوية النقدية الحديثة - إشراف عبد المجيد عيساني، 2017. وقد استفاد الباحث من الدراسات السابقة في المجال ليسهم في تصنيفات لهذا النقد، وبعض الإضافات التكميلية أيضا.

- رسالة الباحث علي بلول الموسومة بـ: التراث النحوي العربي واللسانيات الحديثة - دراسة وصفية تحليلية لاتجاهات المنجز اللساني المغاربي المعاصر، إشراف عبد المجيد عيساني، 2021. وقد صنف الباحث النقد اللساني اتجاهها من اتجاهات البحث اللساني في الدراسات المغاربية، وعرض جهود بعض الدارسين في المجال وقام بتحليلها وتقويمها أيضا. - رسالة الباحث بوبكر زكوط الموسومة بـ: الجهود اللسانية الحديثة في التأسيس لللسانيات العربية، إشراف أبوبكر حسيني، 2021. وقد عرض الباحث مجال النقد اللساني عرضا تصنيفيا مفصلا، كما أنه تأثر بهذا المجال في دراسات الجهود الأخرى.

وهناك بحوث أخرى في هذا المجال في الماجستير والدكتوراه ومؤلفات الأساتذة أيضا، على غرار بعض مؤلفات الأستاذ حسيني التي انصبت على النقد الصوتي باعتباره فرعاً من فروع النقد اللساني.

2 - الاشتغال على هذا المجال البحثي في مخابر البحث على نحو مخبر النقد ومصطلحاته الذي يضم فرقة انصب اهتمام باحثها على النقد اللساني.

3 - السعي إلى برمجة النقد اللساني كمقياس تكويني لطلبة الدكتوراه lmd في التخصصات اللغوية، بالإضافة إلى أن مسابقة 2021 - 2022 للدكتوراه اقترح فيها موضوع في هذا المجال.

ولعل هذا المجال بدأ يلقي قبولا وانتشارا في شتى الجامعات، إدراكا من القائمين على الشأن اللساني فيها إلى ما يتيح من فتح لآفاق البحث اللساني ومتابعة سيرورته بدقة وموضوعية واستمرار.

وتؤكد على أهمية إشاعة هذا المجال اللساني في البحوث العلمية الجامعية لعدة أسباب منها:

- الخروج من النمطة الغالبة في ترديد معلومات لسانية تلتها تحديثات ونماذج لسانية عديدة لم يتمكن المتلقون لهذا الحقل من تجديدها ومواكبة ما جد منها، لأن طبيعة النقد اللساني تتبع سيرورة البحث اللساني وتقويم حركتها.
- القضاء أو الإقصاء من الفجوات المعرفية بين مخرجات البحث اللساني في الدراسات الغربية مقارنة مع الدراسات العربية .

- الاطلاع على النقود اللسانية الغربية والعربية مما يسهم في التكوين المعرفي النقدي الذي يعد عاملا مهما في تكوين مشاريع لنقاد لسانيين .

-الإسهام في تكوين الحس النقدي الواعي لدى طلبة الدكتوراه خاصة، والباحثين في حقل اللسانيات عامة.

- إخضاع النتاج اللساني للتقويم والنقد بغض النظر عن هيمنة المؤلفين والكتب، فالاحتكام في ذلك لأسس إبستمولوجية ورؤى واضحة عماها الأساسي الموضوعية والرقى بالبحث اللساني.
- إن تكوين الباحثين في النقد اللساني يضمن تواترية العمل التقويى للأعمال، وذلك أمر ضرورى للسانيات وتحديثات نماذجها ومناهجها المتتالية.

خاتمة :

- في ختام هذا البحث نسجل أهم النتائج المستخلصة:
- إن النقد اللساني أو اللسانيات النقدية مجال لسانی يدرس الأعمال التي تستند للسانيات موضوعا وتحليلا وتقويما.
- هناك مصطلحات دلت على هذا النقد اللساني في الدراسات العربية ومنها: التحليل النقدي اللساني - اللسانيات النقدية - الكتابة النقدية ...
- يعد البحث الجيل الأول من اللسانين الذين نهلوا للسانيات من المنايع الغربية ثم قدموها للباحثين والقراء ثم قاموا بنقد التراث اللغوي عامة والتراث النحوي خاصة من رواد المرحلة التطبيقية للنقد اللساني، ومن أبرزهم: إبراهيم أنيس وعبد الرحمن أيوب وتام حسان وعبد القادر الفاسي الفهري، وعبد الرحمن الحاج صالح الذي سلك مسلكا متفردا في النقد غير المنهج الذي اتبعه من سلف ذكرهم.
- وقع رواد المرحلة التطبيقية للنقد في هنات عديدة نتيجة للعجلة والتسارع في مواكبة الجديد من النتاج اللساني، وعدم قدرة النماذج اللسانية الغربية من وصف اللغة العربية وصفا متكاملًا، لأن المناهج المستجلبة طبقت على لغات أخرى تختلف عنها.
- لم تصل الجهود المسهمة في التنظير والتأسيس للنقد اللساني إلى الوضعية المكتملة، وإنما مرت بخطوات عديدة لحصنها في ثلاث خطوات، وهي: مرحلة النقد التوصيفي - مرحلة التطبيق النقدي المستند إلى نظرية محددة - مرحلة التأسيس المكتمل.
- شهد المسار نحو التأسيس عوائق عديدة لغياب رؤية نقدية تمثل نموذجا يقتدى بالإضافة إلى كثرة الأخطاء التي وقع فيها الجيل الأول المثل للمرحلة التطبيقية .
- إن الجهود التي صنفناها في خطوة التأسيس المكتمل على غرار جهود مصطفى غلفان وحافظ اساعيلي علوي ويوسف منصر على الرغم من الإيجابيات الكثيرة التي تضمنتها فإنها وقعت هي أيضا في بعض الهنات، ولكنها انغمست في طيات الفتح الكبير الذي قدمته لمجال النقد اللساني.
- إن التواترية التقويمية تؤكد على الأعمال النقدية بعد تراكمها هي في حد ذاتها تتطلب الخضوع لنقد تال يمكن أن يطلق عليه (نقد النقد اللساني)، ونرى أن مصطلح النقد اللساني يمكن أن يتضمن هذا المجال.
- لا بد من تكوين أجيال لسانية تكويننا جيدا لغويا ولسانيا ومنهجيا، مع إتاحة الفرص لهم وتشجيعهم على خوض غمار التقويم والنقد، فذلك مما يسهم في الرقي بالبحث اللساني، وسيرورة حركيته.
- العمل على توفير الوسائل والسبل التي تسهم في إشاعة النقد اللساني وتبسيط طرقه الوعة من خلال: تكوين المكونين في هذا المجال، والعمل على تقوية الطلاب في اللغات الأجنبية التي تعد المفتاح للتعرف إلى نتاج الآخرين، بالإضافة إلى إنشاء مشاريع في الماجستير والدكتوراه موجهة للنقد والتقويم، أو برجة مقاييس للنقد اللساني في تكوينهم، وإنشاء مجالات علمية محكمة تسهم في تمكين الطلاب من نشر أبحاثهم العلمية النقدية اللسانية .

الإحالات :

- 1 - اساعيلي علوي - وليد أحمد العناني، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2009، ص 116.
- 2 حسين بوشنب، النحو العربي القديم والنقد اللساني الوصفي الخارجي، مذكرة ماجستير، إشراف عمار ساسي، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2006، ص 95.

- 3 ينظر: المرجع نفسه، ص 95.
- 4 بوكري زكوط، الجهود اللسانية الحديثة في التأسيس للسانيات العربية، رسالة دكتوراه، إشراف: بوكري حسيني، جامعة ورقلة، 2020 - 2021، ص 107.
- 5 ينظر: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنوي - دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث -، دار المعرفة الجامعية، د ط، 1996، ص 167 - 198.
- 6 ينظر: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنوي، ص 198 - 219.
- 7 ينظر: المرجع نفسه، ص 219.
- 8 عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال، المغرب، ط1، 1985 م ص 57.
- 9 ينظر: علي بلول، التراث النحوي العربي واللسانيات الحديثة دراسة وصفية تحليلية لاتجاهات المنجز اللساني المغاربي المعاصر، رسالة ماجستير، إشراف: عبد المجيد عيساني، جامعة ورقلة، الجزائر، 2020 - 2021، ص 111 - 112.
- 10 ينظر: المرجع نفسه، ص 121 - 131.
- 11 ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موف للنشر، الجزائر، ج 1، دط، 2007، 168 - 169.
- 12 محمد صاري، من أزمة فهم اللسانيات إلى أزمة فهم التراث: قراءة في النقد اللساني عند عبد الرحمن الحاج صالح، مجلة اللسانيات العربية، السعودية، ع 7، يوليو 2018، ص 59.
- 13 ينظر: المرجع نفسه.
- 14 ينظر: المرجع نفسه، ص 56.
- 15 ينظر: حافظ إسماعيلي علوي - أحمد الملاح، قضايا إستراتيجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ط1، 2009، ص 187.
- 16 ينظر: عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية.
- 17 عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات العربية نماذج للحصيلة ونماذج للآفاق، تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، ندوة جهورية أبريل 1987 الرباط، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1991، 11 - 17.
- 18 ينظر: المرجع نفسه، ص 37 - 38.
- 19 ينظر: المرجع نفسه، ص 21 - 36.
- 20 ينظر: عز الدين المجذوب، المتوال النحوي - قراءة لسانية جديدة -، دار محمد علي الحامي، تونس، ط1، 1998، ص 05 - 06.
- 20 علوي والملاح، قضايا إستراتيجية في اللسانيات، ص 06
- 21 المرجع نفسه، ص 12.
- 22 ينظر: المرجع نفسه، ص 05 - 06.
- 23 علوي والملاح، قضايا إستراتيجية في اللسانيات، ص 21.
- 24 ينظر: المرجع نفسه، ص 108.
- 25 يسمى بعض الدارسين هذه الكتابة بالاتجاه التأصيلي. ينظر: حسن خميس المالح، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق، الأردن، ط1، 2000، ص 224.
- 26 بوكري زكوط، الجهود اللسانية الحديثة في التأسيس للسانيات العربية، رسالة دكتوراه، إشراف عبد المجيد عيساني، جامعة ورقلة، 2020 - 2021، ص 148.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب العربية:

- حافظ إسماعيلي علوي - أحمد الملاح، قضايا إستراتيجية في اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ط1، 2009.
- حافظ إسماعيلي علوي - وليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2009.
- حسن خميس المالح، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق، الأردن، ط1، 2000.
- حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنوي - دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث -، دار المعرفة الجامعية، د ط، 1996.
- عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، دط، 1986.

- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات العربية نماذج للحصيلة ونماذج للآفاق، تقدم اللسانيات في الأقطار العربية، ندوة جمهورية أبريل 1987 الرباط، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1991.
- عز الدين المجذوب، المنوال النحوي - قراءة لسانية جديدة -، دار محمد علي الحامي، تونس، ط1، 1998.
- الرسائل الجامعية:
- بوبكر زكموط، الجهود اللسانية الحديثة في التأسيس للسانيات العربية، رسالة دكتوراه، إشراف عبد المجيد عيساني، جامعة ورقلة، 2020 - 2021 .
- حسين بوشنب، النحو العربي القديم والنقد اللساني الوصفي الخارجي، مذكرة ماجستير، إشراف عمار ساسي، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2006 .
- مصطفى غلفان، اللسانيات العربية الحديثة - دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، جامعة الحسن الثاني عين الشق، رسائل و أطروحات ، رقم 4، 1991.